بشرى المسلمين بفضل الشاكرين

جمع وتحقيق الفقير إلى الله تعالى

عبدالله بن جار الله الجار الله

غفر الله له ولوالديه والمسلمين

أموت ويبقى كل ما

فيا ليت من يقرأ كتابي

لعل إلهي أن يمن

ويرحم تقصيري وسوء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الـــذي خلقنا ورزقنا وعافانـــا، وأطعمنا وسقانا، وكســانا وآوانــا، وعلمنا ما لم نكن نعلم، والحمد لله الــــــذي هـــــدانا للإسلام وجعلنا من أتباع محمد عليه الصلاة والســـلام، وجعلنا من خـــير أمة أخـــرجت للنــاس تــأمر بــالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحــده لا شـــريك له أخرجنا من بطـــون أمهاتنا لا نعلم شـــيئًا وجعل لنا الأســـماع والأبصـــار والأفئدة لكي نشكره على ذلك، وأشــهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام الشاكرين وســيد الخلق أجمعين صــلوات الله وســلامه عليه وعلى آله وأصـحابه أجمعين وسـلم تسـليمًا كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن نعم الله تعالى علينا لا تعد ولا تحد ولا تحصى كما قــال تعــالى: **﴿وَإِنْ تَعُـدُّوا نِعْمَـةَ اللـهِ لَا تُحْصُـوهَا﴾** [إبـراهيم: 34].

وأعظم النعم نعمة الإســلام الــذي أُرسل

به محمد ﷺ وأُنـزل به القـرآن العظيم هـدى للنـاس وبينـات من الهـدى والفرقـان، فقد أرسل الله إلينا أفضل رســله وأنــزل عليه أشـرف كتبه وشـرع لنا أفضل شـرائع دينه وجعلنا من خـير أمة أخـرجت للنـاس، ومن أعظم النعم نعمة الخلق والإيجـاد والإعـداد والإمــداد، ومن أعظم النعم خلق الإنســان في أحسن تقــويم يتمتع بالعقل والســمع والبصر والشم والـذوق قـال تعـالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَـلْ لَـهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَـانًا وَشَـفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: 8-10].

وقال تعالى: ﴿**لَقَـدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَـانَ فِي أَحْسَــنِ تَقْـوِيمٍ**﴾ [الــتين: 4] ومن أعظم النعم نعمة الحيــاة والصــحة والعافية ومن أعظم النعم نعمة الأمن والاستقرار.

ولا يعرف قـدر النعمة إلا عند فقـدها كما قال بعض السلف: لا يعرف قدر الصــحة إلا المرضى، ولا يعرف قدر العافية إلا المبتلى، ولا يعرف قدر الشباب إلا من قد شاب، ولا يعرف قدر الحياة إلا المـوتى، وسـبب بقـاء النعم وزيادتها هو شـكرها بـالقلب محبة لله المنعم المتفضــل، وباللســان ثنــاء على

المحمـــــــود مع حبه وتعظيمه وإجلالـــــــه، وبـــــالجوارح عملاً بطاعته مع الإخلاص لله فيها وإكمالها وإتمامها وأدائها على الوجه المشـروع، ولكل مطلـوب مفتـاح يفتح بـه، ومفتاح المزيد الشكر لله بـالقلب واللسـان والعمل كما قـال تعـالى: ﴿**وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَـذَابِي لَشَـدِيدٌ**﴾ [إبـراهيم: 7] وبنـاء على أهمية الشكر لله في حيـاة المسـلم وعظم مكانته في الـــدنيا والآخـــرة وحسن عاقبته فقد جمعت فيه ما تيسر مما يتعلق بهـــــذا الموضوع من فضل الحمد والشكر والفـرق بينهما وبيـان منزلة الشـكر عند اللـه، وأنها من أعلى المنـازل وأرفعها ووجـوب شـكر المنعم على النعم الظـــــــــاهرة والباطنة الخاصة والعامة وبيان موجبات الشكر وفي مقـدمتها الإسـلام والصـحة وحصـول القـوة والأمن والاستقرار.

وبيان نعم الله العظمى وعاقبة الكفر بها وهو العذاب الشديد أعاذنا الله والمسـلمين منـــه، وكيف ينظر العبد إلى نعم الله بـــأن ينظر بالنسبة للـرزق والصـحة ومتع الحيـاة

إلى من هو أســـفل منه لئلا يحتقر نعم الله عليه، وينظر بالنسبة للعلم والدين والعبـادة إلى من هو فوقه لينافسه في ذلك وهي مستفادة من كلام الله تعالى وكلام رسـوله وكلام المحققين من أهل العلم أسأل الله تعـــــالى أن ينفع بها من كتبها أو طبعها أو قرأها أو ســــــــمعها وأن يوزعنا وإخواننا المسـلمين شـكر نعمه وحسن عبادته اللهم لك الحمد والشـكر والثنـاء كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وصـلى الله وسـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الله بن جار الله آل جار الله

فضل الحمد والشكر[1]

قـال الله تعـالى: ﴿فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ وَاشْـــكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُــرُونِ﴾ [البقـــرة: 152]، وقـــال تعـــالى: ﴿لَئِنْ شَـــكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ﴾ [الإسراء: 111] وقال تعـالى: ﴿

---

1 (?) رياض الصالحين بأحـاديث سـيد المرسـلين بتحقيق شعيب الأرنؤوط (527).
وانظــر: كتـاب حمد الله تعـالى في كتـاب الأذكـار للإمام النووي (94).

وَآخِــرُ دَعْــوَاهُمْ أَنِ الْحَمْــدُ لِلــهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس: 10].

وعن أبي هريــرة ، أن النــبي أُتى ليلة أُســـرى به بقـــدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن، قال جبريل عليه السلام: «**الحمد لله الذي هداك للفطـرة**[1] **لو أخذت الخمر غوت أُمتك**» (رواه مسلم)[2].

وعنه عن رسـول الله قـال: «**كل أمر ذي بـال**[3] **لا يُبـدأ فيه بــ(الحمد الله) فهو أقطع**» (حـــديث حســـن، رواه أبو داود[4] وغيره).

---

1 (?) الفطرة هنا: الاستقامة على الدين الحق.

2 (?) مسـلم (168) وأخرجه البخـاري (8/ـ 297، 10/26، 27) واللفظ له.

3 (?) ذي بال، أي شأن يهتم به شرعًا، وقول فهو أقطع أي: ناقص.

4 (?) أبو داود (4840) وأخرجه ابن ماجه (1894) وأحمد (2/ـــ 359) وفي ســـنده قـــرة بن عبد الرحمن المعافري قال أحمد: منكر الحديث جدًّا. وعن ابن معين أنه ضعيف، وقال أبو داود بعد أن أخرجه من حـــديث قـــرة مســـندًا: رواه يـــونس وعقيل وشـــعيب وســـعيد بن عبد العزيز عن الزهري عن النبي مرسلاً.

وعن أبي موسى الأشعري ، أن رسول الله قال: «**إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع**[1] **فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة، وسموه بيت الحمد**» رواه الترمذي[2] وقال: حديث حسن.

وعن أنس قال: قال رسول الله «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة**[3] **فيحمده عليها ويشرب الشربة، فيحمده عليها**» رواه مسلم[4].

---

1 (?) استرجع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.
2 (?) الترمذي (1021) وهو حسن كما قال.
3 (?) الأكلة: المرة من الأكل، وكذلك الشَّربة.
4 (?) مسلم (2734).

الفرق بين الحمد والشكر
سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

عن «الحمد والشكر» ما حقيقتهما؟ هل هما معنى واحد، أو معنيان؟ وعلى أي شيء يكون الحمد؟ وعلى أي شيء يكون الشكر؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين.

«الحمد» يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان على الإحسان إلى الحامد، أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسنى، والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: **﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾** [الأنعام: 1]، وقال سبحانه: **﴿الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ**

فِي الْآخِرَةِ [سبأ: 1] وقال: **الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ** [فاطر: 1].

وأما «الشكر» فإنه لا يكون إلا على الأنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه؛ لكنه يكون بالقلب واليد واللسان، كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة

يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا** [سبأ: 13].

و«الحمد» إنما يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه، ومن هذا الحديث «الحمد لله رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره»[1] وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها**

---

1 (?) رواه عبد الرزاق في الجامع والبيهقي في شعب الإيمان ورمز السيوطي لحسنه.

ويشــرب الشــربة فيحمــده عليها»[1]

والله أعلم[2].

---

1 (?) رواه مسلم.

2 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسـلام ابن تيمية (11/133).

فضل الشكر

الحمد لله الـــــــــــذي أنعم علينا بنعمه الظـاهرة والباطنـة، لا نحصي ثنـاء عليه هو كما أثـنى على نفســه، وأشــهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبــده ورســوله البشــير النــذير، والســراج المنير، أرســله رحمة للعـالمين، وحجة على الخلق أجمعين. صــــلى الله عليه وعلى آله وأصـــــحابه ومن ســــار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين. وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعــد: أيهــا المســلمون اتقــوا الله تعــالى. يقــول عز وجــل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَـةَ اللـهِ عَلَيْكُمْ هَـلْ مِنْ خَـالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّــمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** [فاطر: 3].

عبــاد اللــه: إن الله قد أســبغ عليكم نعمـــه، وأمـــركم بشـــكره، ووعـــدكم إذا شـــكرتموه أن يزيـــدكم، وتوعـــدكم إذا لم تشكروه بالعذاب الشديد. فانظروا موقفكم مع نعم اللـــه، وتــأملوا أحـــوال من قبلكم

وأحـوال من حـولكم ممن تنكـروا لنعم الله واستكبروا في الأرض كيف دهمهم أمر الله فبُدِّلوا بالنعمة نقمة وبالأمن خوفًا، وبـالغنى والشبع فقرًا وجوعًـا، فاحـذروا أن يحل بكم مثل ما حل بهم، فلقد أنعم الله عليكم بنعم لم تكن موجـودة عنـدهم من سـعة في الأرزاق ورفاهية في الملابس والمسـاكن والمراكب وصحة في الأبدان.

وأمن في البلـدان، وأعلى من ذلك وأغلى أن اصـطفى لكم الـدين الحـنيف وأقـامكم على المحجة البيضـاء والملة السمحاء، فاشكروا له ولا تكفروه، واذكروه ولا تنسوه.

وأطيعوه ولا تعصـوه. ولا تكونـوا كالـذين بـدلوا نعمة الله كفـرًا وأحلـوا قـومهم دار البـوار ﴿جَهَنَّمَ يَصْـلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَـرَارُ﴾ [إبراهيم: 29] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَـةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَـوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: 53].

عباد الله: إن حقيقة الشكر هي: الثنـاء على المحسن بما أولاه من المعـروف،

وشكر العبد لربه يدور على ثلاثة أركان لا يكون العبد شكورًا إلا بمجموعها:

أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه في قرارة قلبه بأن يعترف بأن هذه النعم واصلة إليه من الله سبحانه تفضلا منه وإحسانا لا بحوله ولا بقوته.

الثاني: التحدث بهذه النعم ظاهرًا فيثنى على الله ويحمده ويشكره فلا ينسب النعم إلى غير الله كما قال قارون لما نصحه قومه وقالوا له: ﴿**لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: 76، 77] فكان جوابه إنكار فضل الله عليه وأن هذه الكنوز وهذه الأموال التي بيده إنما حصلت له بسبب علمه وخبرته أو استحقاقه لها: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ [القصص: 78] فماذا كانت النتيجة. كانت أسوأ النتائج حيث خسف الله به وبداره

الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يـــوم القيامة نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه.

الــركن الثــالث- من أركــان شـــكر النعمة-: الاســـتعانة بها على مرضـــاة الله فيسـتعملها في طاعة الله أما إذا اسـتعمل نعمة الله في معصـــيته فقد كفر نعمة الله عليه فالذي يستعمل قـوى جسـمه وصـحته وينفق أمواله في معصـيه الله قد كفر نعمة الله عليه واستحق عقوبته.

عباد الله: إن رسل الله عليهم الصــلاة والســـلام هم القـــدوة الكاملة للخلق وهم أكمل النـاس شـكرًا لله عز وجل فقد أثـنى الله على نـــوح عليه الصــلاة والســلام أول رسله بأنه كان عبدًا شـكورًا، وذكر سـبحانه عن نبيه داود وســـــــليمان أنه آتاهما علمًا فقالا: عند ذلك اعترافًا بنعمة الله عليهما: ﴿ **الْحَمْـدُ لِلــهِ الَّذِي فَضَّـلَنَا عَلَى كَثِـيرٍ مِنْ عِبَـادِهِ الْمُـؤْمِنِينَ﴾** [النمـل: 15] فشـــكرا ربهما على ما أعطاهما من العلم، ثم أخـــبر عن سليمان عليه السلام أنه أثـنى على ربه واعترف بفضله حينما أورثه النبــوة عن أبيه

وعلَّمه منطق الطــير وآتــاه من كل شــيء مما يحتاجه الملـوك. قـال سـبحانه ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَــالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْــرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُـلِّ شَــيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل: 16].

ولما حُشر له جنــــوده من الجن والإنس والطير. وسمع كلام النملة حينما مر بها مع تلك الجنــود الهائلة قــال معترفًا بفضل الله عليه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِــدَيَّ وَأَنْ أَعْمَـــلَ صَــالِحًا تَرْضَــاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِــكَ فِي عِبَـــــــــادِكَ الصَّـــــــــالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

ولما تم له مطلبه من إحضـــار عـــرش بلقيس لديه واســتقراره عنــده في أســرع وقت اعــترف أن هــذا ليس بحوله ولا بقوته وإنما هو تفضل من الله عليه ﴿قَــالَ هَــذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْــكُرُ أَمْ أَكْفُـرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَـرِيمٌ﴾ [النمـل: 40] وهـذا نبي الله يوسف بن يعقـوب عليهما السـلام

حينما منَّ الله عليه بالملك والعلم وجمع له الشـــــمل بوالديه وإخوته رأى أنها قد تمت عليه النعمة فشـــــكر لربه وســـــأله حسن الخاتمة وقال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْـكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيـــلِ الْأَحَـادِيثِ فَـاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـــرَةِ تَـــوَفَّنِي مُسْـــلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّـــــــــــــــــــــــالِحِينَ﴾ [يوسف: 101].

وهذا خاتم النبيين وسـيد المرسـلين نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قام على قدميه في الصلاة حـتى تفطرتـا من طـول القيـام فقــالت له أم المؤمــنين عائشة رضي الله عنها يا رســول الله لم تفعل هــذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تـأخر، فقـال يا عائشة: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**».

عبـاد اللـه: هـؤلاء هم القـدوة الأخيـار فاقتـــدوا بهم واشـــكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسـنتكم وأعمـالكم فإنه لا يكفي أن تتلفظ بالحمد والشــكر بلســانك وقلبك غافل معــرض أو جاحد مســتكبر، وأفعالك

بخلاف ما يرضي اللـــــه، فالشـــــكر يتعلق بـــالقلب واللســـان والجـــوارح، فـــالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثنـاء والحمـد. والجوارح لاسـتعمالها في طاعة المشـكور، وكفها عن معاصيه.

عبـــاد اللـــــه: لقد قص الله علينا في القرآن الكـريم ما حل بـالأمم الـتي كفـرت بأنعم الله من قصم الأعمار، وخراب الـديار ما تقشعر منه الجلود، من ذلك ما قصة عن بني إسرائيل في مواضع من كتابه الكريم ﴿ **يَا بَنِي إِسْـــرَائِيلَ اذْكُـــرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّــــــــلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** [البقـرة: 47، 122]، ومن ذلك ما قصة عن قبيلة ســـبأ الـــتي أنعم عليها بـالجنتين وقـال لهم: **﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْـكُرُوا لَـهُ بَلْـدَةٌ طَيِّبَـةٌ وَرَبٌّ غَفُـورٌ﴾** [سـبأ: 15] فأعرضــوا عن الشـكر وكـذبوا الأنبياء فأرسل الله عليهم سيل العَــرِم وهو الـوادي الممتلئ بالمـاء الغزير الـذي أغـرق ديـارهم وأهلك حـروثهم وأشـجارهم فبُـدِّلوا بالغنى فقرًا وبالنعمة نقمة وبالاجتماع تفرقًا وتشـتتًا في البلاد قـال تعـالى: **﴿فَجَعَلْنَـاهُمْ**

أَحَـادِيثَ وَمَزَّقْنَـاهُمْ كُـلَّ مُمَـزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَـكُورٍ [سـبأ: 19] حتى صار يضرب المثل بتفـرقهم وتشـتتهم فيقال للقوم إذا تفرقوا: (تفرقوا أيدي سبأ) أي كما تفـرقت سـبأ، ومما ضـربه الله لنا مثل القرية قال تعالى: **وَضَـرَبَ اللـهُ مَثَلًا قَرْيَـةً كَـانَتْ آمِنَـةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَـرَتْ بِـأَنْعُمِ اللـهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَـاسَ الْجُـوعِ وَالْخَـوْفِ بِمَا كَـانُوا يَصْـنَعُونَ** [النحـل: 112] أي جعل الله هــــذه القرية مثلا لمن أنعم الله عليه فكفر بالنعمة فأنزل الله عليه النقمة.

حيث وفر الله لأهل هــذه القرية الأمــان والاطمئنان والرزق الرغد الــذي يُجلَبُ إليها من جميع النــواحي فلما لم يشــكروا هــذه النعم تحولت إلى أضـدادها، فبُـدِّلوا بـالرزق الرغد جوعًا وبـــالأمن والاطمئنـــان خوفًا وقلقًا.

فـاتقوا الله عبـاد اللـه: واشـكروا نعم الله التي أسـبغها عليكم، أدوا ما أوجب الله عليكم وتجنبوا ما حرم الله عليكم، حـافظوا على الصلوات واحضروا الجمع والجماعـات

وأدوا زكـاة أمـوالكم، تجنبـوا المعـاملات المحرمة والمكاسب الخبيثة، طهروا بيوتكم من آلات اللهو ومن الصـور ومن سـائر المحرمـات، خـذوا على أيـدي سـفهائكم، امنعوا نساءكم من التبرج والسـفور واتخـاذ الملابس التي تغضب الله ورسوله.

ربـوا أولادكم بتربية الإسـلام وعلمـوهم القـرآن، وجنبـوهم مـواطن الفسـاد وقرنـاء السوء وأدبوهم إذا رأيتم منهم ما يسـتوجب التأديب. وخذوهم بـالحزم والحكمة، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. اللهم أصلح لنا ديننا الـذي هو عصـمة أمرنا وأصـلح لنا دنيانا الـتي فيها معاشـنا وأصـلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا[1].

---

[1] (?) خطب الشيـخ الـدكتور صـالح الفـوزان (1/ 167).

منزلة الشكر

ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ منزلة «الشكر» وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة «الرضا» وزيادة، فالرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه.

وهو نصف الإيمان والإيمان نصفان: نصف شكر ونصف صبر.

وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواص خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته، وأخبر أن أهله هم المنتفعون بآياته واشتق لهم اسمًا، من أسمائه فإنه سبحانه هو «الشكور» وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره بل يعيد الشاكر مشكورًا. وهو غاية الرب من عبده وأهله هم القليل من عباده قال الله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [2/ 172] وقال سبحانه: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [2/ 152] وقال سبحانه عن

خليله إبــراهيم ﴿: ﴿إِنَّ إِبْـرَاهِيمَ كَـانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ [16/ 120، 121] وقـال: عن نــوح عليه الســلام: ﴿إِنَّهُ كَـانَ عَبْــدًا شَـكُورًا﴾ [17: 3] وقـال تعـالى: ﴿وَاللـهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُـونِ أُمَّهَـاتِكُمْ لَا تَعْلَمُـونَ شَــيْئًا وَجَعَــلَ لَكُمُ السَّــمْعَ وَالْأَبْصَــارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْــكُرُونَ﴾ [16: 78] وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَـهُ إِلَيْـهِ تُرْجَعُــونَ﴾ [29: 17] وقــال تعــالى: ﴿وَسَـيَجْزِي اللـهُ الشَّـاكِرِينَ﴾ [3: 144] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [14: 7] وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [31: 31].

وســمى نفسه «شــاكرًا» و«شــكورًا» وســمى الشــاكرين بهــذين الاســمين، فأعطــاهم من وصــفه، وســماهم باســمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلا.

وإعادته للشــاكر مشــكورًا كقولـه: ﴿إِنَّ هَــذَا كَــانَ لَكُمْ جَــزَاءً وَكَــانَ سَــعْيُكُمْ

مَشْكُورًا[76: 22] ﴿ ورضا الرب عن عبده به كقوله: ﴿**وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ**/39] ﴿ [7 وقلة أهله في العالمين تدل على أنهم هم خواصه كقوله: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**[34/ 13] ﴿.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ «أنه قام حتى تورمت قدماه، فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟».

وقال لمعاذ «والله يا معاذ، إني لأحبك، فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعنِّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك»(1).

وفي المسند والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ: «**كان يدعو بهؤلاء الكلمات: اللهم أعنِّي ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر علي، وامكر لي ولا تمكر بي، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني**

---

(1) (?) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

على من بغى علي، رب اجعلــني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا، إليك أواها منيبًا، رب تقبل توبــتي. واغسل حوبــتي، وأجب دعــوتي، وثبت حجــتي واهد قلبي، وسدِّد لساني، واسلل سخيمة صدري».

قواعد الشكر

وأصــل: «الشــكر» في وضع اللســان: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيـوان ظهـورًا بينًا يقال: شكرت الدابة تشـكر شـكرًا على وزن سـمنت تسـمن سـمنًا: إذا ظهر عليها أثر العلف، ودابة شـكور: إذا ظهر عليها من السمن فوق ما تأكل، وتعطى من العلف.

وفي صحيح مسلم «**حـتى إن الـدواب لتشـكر من لحـومهم**» أي لتسـمن من كثرة ما تأكل منها.

وكذلك حقيقته في العبوديـة، وهو ظهـور أثر نعمة الله على لســان عبـــده. ثنـــاء واعترافًا، وعلى قلبه. شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.

و«الشــكر» مبــني على خمس قواعــد: خضـــوع الشـــاكر للمشـــكور، وحبه لــــه، واعترافه بنعمتـــه، وثنـــاؤه عليه بها وأن لا يســتعملها فيما يكــره فهــذه الخمس، هي أســاس الشــكر، وبناؤها عليها فمــتى عــدم منها واحدة، اختل من قواعد الشكر قاعدة.

وكل من تكلم في الشكر وحــده، فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور.

فقيــل: حــده الاعــتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع.

وقيــــل: الثنـــاء على المحسن بــــذكر إحسانه.

وقيــــل: هو عكـــوف القلب على محبة المنعم، والجـــوارح على طاعته وجريــــان اللسان بذكره والثناء عليه.

أما الثنـــاء على المنعم، المتعلق بالنعمة فنوعــان: عــام، وخــاص، فالعــام، وصــفه بــالجود والكــرم والــبر والإحســان، وســعة العطاء ونحو ذلك.

والخـــاص: التحـــدث بنعمـــه، والإخبـــار بوصــولها إليه من جهته كما قــال تعــالى: ﴿

وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ[93: 11] ﴾.

وفي هذا التحديث المأمور به قولان:

أحدهما: أنه ذكر النعمة، والإخبار بها، وقوله: أنعم الله علي بكذا وكذا، قال مقاتل: يعني اشكر ما ذكر من النعم عليك في هذه السورة: من جبر اليتم، والهدى بعد الضلال، والإغناء بعد العيلة.

والتحدث بنعمة الله شكر، كما في حديث جابر مرفوعًا «**من صنع إليه معروف فليجز به، فإن لم يجد ما يجزي به فليثن، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور**»[1].

فذكر أقسام الخلق الثلاثة: شاكر النعمة المثني بها، والجاحد لها والكاتم لها، والمظهر أنه من أهلها، وليس من أهلها، فهو متحل بما لم يعطه.

وفي أثر آخر مرفوع: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر

---

1 (?) رواه البيهقي بمعناه عن أبي هريرة انظر كنز العمال (6/ 465).

الناس لم يشـكر اللـه، والتحـدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[1].

والقـول الثـاني: أن التحــدث بالنعمة المـأمور به في هـذه الآيـة، هو الـدعوة إلى اللـــه، وتبليغ رســالته، وتعليم الأمـــة، قـــال مجاهد: هي النبـوة قـال الزجـاج: أي بلِّغ ما أرسلت به، وحدِّث بالنبوة الـتي آتـاك اللـه، وقال الكلبي: هو القرآن، أمره أن يقرأه.

والصـــواب: أنه يعم النـــوعين، إذ كل منهما نعمة مـأمور بشـكرها والتحـدث بهـا، وإظهارها من شكرها.

و«الشـــكر» ســـبيل رسل الله وأنبيائه صـــــــــلى الله عليه أجمعين أخص خلقه وأقربهم إليه.

وليس من مقـــام أرفع من «الشـــكر» الــذي ينــدرج فيه جميع مقامــات الإيمــان، حـتى المحبة والرضـا، والتوكل وغيرها فـإن «الشـــكر» لا يصح إلا بعد حصـــولها وتالله ليس لخواص أولياء اللـه، وأهل القـرب منه

---

[1] (?) رواه الطـبراني وغـيره وانظر مجمع الزوائد للهيثمي (8/ 81، 82).

سبيل ارفع من «الشكر» ولا أعلى.

وإنعام الرب تعـالى على عبـده: إحسـان إليه، وتفضل عليه، ومجرد امتنان، لا لحاجة منه إليه، ولا لمعارضة، ولا لاستعانة بــه، ولا ليتكثرِ به من قلة، ولا ليتعزز به من ذلة، ولا ليقوى به من ضعف سبحانه وبحمده.

والشكر معه المزيد أبـدًا لقوله تعـالى: ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**[14: 9] ﴾ فمتى لم تر حالك في مزيد، فاستقبل الشكر.

وفي أثرٍ إلهي: يقول الله عز وجل «أهل ذكـري أهل مجالسـتي، وأهل شـكري أهل زيـادتي، وأهل طـاعتي أهل كرامـتي، وأهل معصـيتي لا أُقنطهم من رحمـتي، إن تـابوا فأنا حـبيبهم، وإن لم يتوبـوا فأنا طـبيبهم أبتليهم بالمصائب، لأطهرهم من المعايب».

وقيـل: من كتم النعمة فقد كفرهـا، ومن أظهرها ونشرها فقد شكرها.

وهــذا مــأخوذ من قوله ﷺ «**إن الله إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يـــرى أثر نعمته على عبده**»[1].

---

[1] (?) رواه البيهقي عن أبي هريرة ورمز السيوطي لحسنه وقال في فيض القدير

وأمره له بالشكر أيضًا: إنعـام آخر عليـه، وإحســان منه إليه إذ منفعة الشــكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة، لا إلى الله، والعبد هو الذي ينتفع بشكره، كما قـال تعـالى: ﴿وَمَنْ يَشْـكُرْ فَإِنَّمَا يَشْـكُرُ لِنَفْسِـهِ﴾ [31: 12] فشــكر العبد إحســان منه إلى نفسه دنيا وأخـــرى، فإنه إنما هو محسن إلى نفسه بالشكر، لا أنه مكافئ به لنعم الرب.

فالرب تعـالى لا يسـتطيع أحد أن يكـافئ نعمه أبــدًا، ولا أقلهــا، ولا أدنى نعمة من نعمــه. فإنه تعــالى هو المنعم المتفضــل، الخالق للشكر والشـاكر، وما يشـكر عليـه، فلا يستطيع أحد أن يحصي ثنـاءً عليـه، فإنه هو المحسن إلى عبـده بنعمـه، وأحسن إليه بـأن أوزعه شـكره، فشـكرها نعمة من الله أنعم بها عليـه، تحتـاج إلى شـكر آخر وهلم جرا.

ومن تمـام نعمته سـبحانه، وعظيم بـره وكرمه وجوده: محبته له على هـذا الشـكر. ورضـاه منه بـه، وثنـاؤه عليه بـه، ومنفعته

(2/ 202) قال الذهبي في المهذب إسناده جيد.

وفائدته مختصة بالعبد، لا تعـود منفعته على الله وهـذا غاية الكـرم الـذي لا كـرم فوقه ينعم عليك، ثم يوزعك شكر النعمة ويرضى عنـك، ثم يعيد إليك منفعة شـكرك، ويجعله سـببًا لتـوالي نعمه واتصـالها إليك والزيـادة على ذلك منها.

وهذا الوجه وحده يكفي اللــبيب ليتنبه به على ما بعده[1].

---

1 (?) انظر مدارج السالكين لابن القيم (2/ 242).

وجوب شكر النعم والحذر من صرفها في غير مصارفها

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله وحـده والصـلاة والسـلام على رسول الله وآله وصحبه أما بعد:

فقد يبتلي الله عباده بالفقر والحاجة كما حصل لأهل هـــذه البلاد. قـــال تعـــالى: ﴿ **وَلَنَبْلُـوَنَّكُمْ بِشَـيْءٍ مِنَ الْخَـوْفِ وَالْجُـوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْـوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَـرَاتِ وَبَشِّــرِ الصَّــابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَــابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَـالُوا إِنَّا لِلـهِ وَإِنَّا إِلَيْـهِ رَاجِعُـونَ**﴾ [البقرة: 155، 156].

كما يبتليهم بالنعم وسـعة الـرزق كما هو واقعنا اليوم ليختبر إيمـانهم وشـكرهم قـال تعـالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْـوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَـةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْـرٌ عَظِيمٌ**﴾ [التغــابن: 15] والعاقبة الحميـــــــــدة في كل ذلك للمتقين الــذين تكــون أعمــالهم وفق ما شــرع الله كالصبر والاحتسـاب في حـال الفقر وشـكر الله على النعم وصرف المال مصــارفه في حـال الغـنى. ومن الاقتصـاد صـرف المـال

مصارفه في المأكل والمشرب من غير تقتير على النفس والأهل، ولا إسراف في تضييع المال من غير حاجة وقد نهى الله عن ذلك كله قال تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا**﴾ [الإسراء: 29].

وقال تعالى في النهي عن إضاعة المال ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا**﴾ [النساء: 5].

نهى الله جل وعلا في هذه الآية عن إعطاء الأموال للسفهاء لأنهم يصرفونها في غير مصارفها فدلَّ ذلك عن أن صرفها في غير مصارفها أمر منهي عنه وقال تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: 31] وقال: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الإسراء: 26، 27].

والإسراف الزيادة في صرف الأموال على مقدار الحاجة، والتبذير في غير وجهها، وقد ابتلي الناس اليوم بالمباهاة في

المآكل والمشـــــارب خاصة في الـــــولائم وحفلات الأعراس فلا يكتفـون بقـدر الحاجة وكثير منهم إذا انتهى الناس من الأكل ألقوا باقي الطعام في الزبالة والطرق الممتهنة.

وهـذا من كفر النعمة وسـبب في تحولها وزوالها فالعاقل من يــزن الأمــور بمــيزان الحاجة وإذا فضل شـــيء عن الحاجة بحث عمن هو في حاجته وإذا تعــذر ذلك وضــعه في مكان بعيد عن الامتهـان لتأكله الـدواب ومن شـــاء الله ويســـلم من الامتهـــان، والـواجب على كل مسـلم أن يحـرص على تجنب ما نهى الله عنه وأن يكون حكيمًا في تصـــرفاته مبتغيًا في ذلك وجه الله شـــاكرًا لنعمـه، حـذرا من التهـاون بها وصـرفها في غـير مصـارفها قـال تعـالى: ﴿لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] وقـال عز وجـل: ﴿فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـــرْكُمْ وَاشْـــكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُـــرُونِ﴾ [البقرة: 152].

وأخبر سبحانه أن الشكر يكون بالعمل لا بمجـرد القـول فقـال سـبحانه ﴿اعْمَلُـوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَـادِيَ الشَّـكُورُ﴾

[سبأ: 13].

فالشــكر لله ســبحانه يكــون بــالقلب واللســان والعمل فمن شــكر الله قــولاً وعملاً زاده من فضــله وأحسن له العاقبة ومن كفر بنعم الله ولم يصــرفها في مصــارفها فهو على خطر عظيم قد توعــده الله بالعذاب الشديد، ونسأل الله أن يصــلح أحــوال المســلمين ويمنحهم الفقه في دينه وأن يوفقنا وإيـاهم لشـكر نعمه والاسـتعانة بها على طاعته ونفع عبــاده إنه ولي ذلك والقــادر عليه وصــلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم.

موجبات الشكر

قال الشاعر:

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى
وكان صحيحا جسمه وهو في أمن
فقد ملك الدنيا جمعها بأسرها
وحق عليه الشكر لله ذي المن

ذكر في هذين البيتين أعظم النعم الموجبة للحمد والشكر والثناء لله رب العالمين:

1- الإسلام الذي يسلم به المسلم من الشقاوة ويفوز بالسعادة، فهو دين الله الذي خلق خلقه لأجله، وبه أنزل كتبه، وأرسل رسله، وهو الدين المقبول عند الله فلا يقبل من أحد دينا سواه، وقد أكمله الله لعباده وأتم عليهم به النعمة ورضيه منهم فلن يسخطه أبدًا، ولن يتطرق إليه نقص أبدًا، فهو الدين الشامل الكامل الذي لم يترك خيرًا إلا أمر به ولا شرًا إلا حذر منه.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**﴾ [آل عمران: 19] وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل

عمران: 85] وقـال تعـالى: ﴿**الْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِـيتُ لَكُمُ الْإِسْـلَامَ دِينًا**﴾ [المائـدة: 3] فلله الحمد والشـكر والثنـاء على ذلك، فهو دين الأمن والأمـــان والكمـــال والشـــمول والسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة.

2- ومن موجبات الشكر حصـول القـوت الضـروري للإنسـان الـذي به قـوام البـدن وراحته وقوته ﴿**اللـــــــهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ**﴾ [الـروم: 40] ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: 6] ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِـهِ وَإِلَيْـهِ النُّشُـورُ**﴾ [الملك: 15].

وفي الحـــديث: «**من أصـــبح آمنا في سربه معافى في جسده وعنده قوت يومه فكأنما حـــــــيزت له الـــــــدنيا بحـــذافيرها**» (رواه البخـــاري في الأدب المفـــــــرد والترمـــــــذي وابن ماجه ورمز السيوطي لحسنه).

3- ومن أعظم النعم الموجبة للشـــــكر صـــحة البـــدن والعقل والســـمع والبصر

واليدين والرجلين والعينين واللسان والشفتين وقد قيل «الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يعرفها إلا المرضى»
وقال الله تعالى: ﴿**وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل: 78] فلله الحمد والشكر والثناء على ذلك.

وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ [البلد: 8-10]. وحث النبي ﷺ على اغتنام الصحة بالعمل الصالح قبل المرض قال عليه الصلاة والسلام: «**اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وحياتك قبل موتك وفراغك قبل شغلك وغناك قبل فقرك**» (رواه الحاكم وصححه).

4- ومن أعظم النعم الموجبة للشكر، الأمن والاستقرار في الأوطان حيث يأمن الإنسان على نفسه وأهله وماله وهو من النعم التي لا يعرفها إلا من فقدها ولا يحصل الأمن التام في الدنيا والآخرة إلا

للمؤمنين قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82].

فيا لها من نعم ما أجلها وأعظمها فإذا أراد المسلم أن تستقر عليه هذه النعم فليحمد الله وليشكره بقلبه ولسانه وعمله بمحبته وطاعته لله رب العالمين بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وفعل ما أوجب وترك ما حرم والإكثار من ذكر وشكره وحسن عبادته.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم لك الحمد والشكر والثناء على ما أنعمت به علينا من نعمك العظيمة والآيات الجسيمة حيث أنزلت علينا خير كتبك وأرسلت إلينا أفضل رسلك وشرعت لنا أفضل شرائع دينك وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس.

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: 19].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: 15].

والحمد لله رب العالمين حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وأنبيائه نبينا محمد وعلى آله وأصحابه واتباعه إلى يوم الدين.

نعم الله العظمى وعاقبة الكفر بها[1]

النعم العظمى:

والإنسان يعيش في نعم من الله تحيط به من كل جانب ولو قضى عمره يشكر ربه على هذه النعم ما وفَّي حق نعمة واحدة منها، لذلك يأمره الله عزَّ وجل بأن يثني عليه قائلاً **﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾** [النمل: 93] ومن السنة حديث صهيب ﷺ «**عجبا**

1 (?) أصول المنهج الإسلامي للشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد (349).

لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمـــؤمن إن أصــــابته سراء شـكر فكـان خـيرًا وإن أصـابته ضـراء صـبر فكـان خـيرًا له» (صـحيح مسلم).

ومبعث الشكر هو نظر الإنسان لما هيـأه الله له من الأســباب والنعم العظيمة ومثل نعمه الوجــود والخلق ونعمة الإيمــان الــتي يستحق بها الجنة ونعمة التكريم وحمله في الــبر والبحر ورزقه من الطيبــات وتفضــيله على كثـير ممن خلــق، ومن النعم أيضًــا ما أودعه الله في هــذا الكــون العجيب لمنفعة الإنســان وحياته وســعادته من مــاء وهــواء وغــذاء وحيــوان وغــير ذلــك. ومن النعم ما أودعه الله في الإنسان من العقل والســمع والبصر وما أحاطه به قبل ذلك حين كـــــان في بطن أمه من أسباب التغذية والنماء ثم التربية على يد والديه قــال تعــالى: **﴿وَاللـهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُـونِ أُمَّهَـاتِكُمْ لَا تَعْلَمُـونَ شَــيْئًا وَجَعَــلَ لَكُمُ السَّــمْعَ وَالْأَبْصَــارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْــكُرُونَ﴾** [النحــل: 78]

وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

ومن نعمه إحياء الأرض الميتة وإخراج الثمار منها وما عملته أيدي الناس وكذلك إنزال الحديد الذي فيه بأس شديد ومنافع للناس كما نشاهد هذه الأيام في أنواع التقنية المختلفة وفي وسائل السفر والاتصال والمعاملة بين الناس، إلى غير ذلك من النعم التي لا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: 18] وللشكر ثلاثة أركان التحدث بالنعمة ظاهرًا والإقرار بها باطنًا وصرفها في طاعة مسديها ومموليها.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 11] وقال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152] أي اذكروني بالطاعة والإخلاص والمجاهدة في الدنيا أذكركم أي أثني عليكم في الملأ الأعلى وأخصكم بالهداية ومزيد الاختصاص في الدنيا والرحمة في الآخرة، وكثرة ذكر الله تعلق القلب به ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير، وإذا أضيف إلى ذلك مطالعة

آلائه ونعمائه فلا بد أن يثير ذلك باعثًا يحرك الخوف منه والرجاء فيه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: 28].

ومن فوائد الشكر النجاة من العقوبة في الآخرة لقوله تعالى: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: 7] والشاكر هو الذي يشتغل لسانه بذكر الله وينشغل قلبه بحبه والتوكل عليه والوثوق بوعده وتنشغل جوارحه بعبادته عز وجل، وضد الشكر الكفر قال تعالى على لسان سليمان حيث رأى عرش بلقيس مستقرًا عنده ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ [النمل: 40] والله غني عن عذابنا ما دمنا نشكره قال تعالى: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ**﴾ [النساء: 147].

الكفر بالنعمة وعاقبته:

وإذا انهمك الإنسـان في معاصـيه وعطل ذكر الله عز وجل وكفر أنعم الله عليه حل عليه عذابه بطــرق كثــيرة منها إزالة النعم، أو زيادتها اســتدراجًا إذا كــان من الأغنيــاء العصاة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْــــتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُــــونَ﴾ [الأعراف: 182].

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِــهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَــيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُـوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: 44].

وهذا حـدث لأقـوام كثـيرة وقد توعد الله به كثـــيرًا في مثل قولــــه: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيــــــدٍ﴾ [هـــــود: 83] ومن العقوبــات ذهــاب البركة واحتبــاس المطر ومنه تسليط المخلوقات بأمر الله وبأسباب مختلفة كالطوفـان والـزلازل ومنه تسـليط بعضــــهم على بعض ومنه إنـــزال العقوبة والعذاب من السماء أو الأرض قـال تعـالى: ﴿قُــلْ هُــوَ الْقَــادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَــأْسَ بَعْضٍ

انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ [الأنعام: 65].

ومن أنواع العذاب القلق النفسي والهموم والأمراض النفسية وفقدان الأمن الدولي والاجتماعي والنفسي كما هو الحال في بعض البلدان اليوم قال تعالى: **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** [طه: 124] والذي يعيد النظر ويتأمل في مصير كثير من الدول والأمم السابقة وما أصابها كما حدث لقوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وكفار قريش وغيرهم يدرك نتيجة كفران النعمة والغفلة عن ذكر الله، وقد حكى القرآن الكريم نماذج متعددة تصور ما آلت إليه الأمم الجاحدة لنعم الله قال تعالى: **قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** [آل عمران: 137] .

ويذكر القرآن الكريم عاقبة المكذبين وكيف انتقم الله منهم قال تعالى: **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ**

حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ [العنكبوت: 40]

ويضرب لنا مثلا في قارون الذي اغتر بغناه وتجارته حينما قال: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ [القصص: 78] حيث يقول في حقه فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ [القصص: 81].

وانظر إلى هذا المثل: وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [النحل: 112].

والله سبحانه وتعالى قادر على أن يبدل النعمة نقمة كما حدث لسبأ في اليمن لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ

خَمْطٍ[1] **وَأَثْلٍ**[2] **وَشَيْءٍ مِنْ سِـدْرٍ**[3] **قَلِيـلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَـلْ نُجَـازِي إِلَّا الْكَفُورَ** [سـبأ: 15-17] ولا تـدوم النعم ولا تتقيد إلا بشكر الله وذكره قال تعـالى: **لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَـرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** [إبراهيم: 7] والله أعلم.

---

1 (?) أكل خمط: مأكولٌ مرٌّ بشعٌ.

2 (?) أثل: شجر يشبه الطرفاء لا ثمر له.

3 (?) سدر: شجر النبق وهو لا ينتفع بثمره.

كيف ينظر العبد إلى نعم الله؟

الحمد لله اللطيف بعباده فيما يجري به المقدور، المدبر لهم بحكمته وعلمه في الميسور والمعسور، الذي فاضل بينهم في الذوات والصفات وجميع الأمور، ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وهو العزيز الغفور، وأشهد أن لا إله لا هو وحده لا شريك له في التقدير والتدبير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي فاق جميع الخلق في الصبر على الضراء والشكر عند السرور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على مر الأيام والدهور وسلم تسليمًا.

أما بعد أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالى الذي خلقكم ورزقكم وعافاكم وأنعم عليكم النعم الظاهرة والباطنة وأولاكم، فإن المؤمن لا يزال في نعمة الله إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا لهٍ، وعليكم بالقناعة فإنها كنز لا ينفد وذخر لا يفنى فهي غنى بلا مال وعز بلا جنود ولا رجال، فالقناعة أن يرضى الإنسان بما قدر الله له، وأن ينظر

إلى من هو أدنى منه في العافية والمـــــال والأهل، فـإن ذلك أقـرب إلى معرفة النعمة وشــكرها، ولا تنظــروا إلى من هو فــوقكم في هذه الأشياء فـإن ذلك يـؤدي إلى القلق وكفران النعماء، فالمعافي في بدنه أو ماله أو أهلـــه، ينظر إلى من ابتلي بشـــيء منها ليعـرف قـدر نعمة الله عليـه، وإذا كـان هو مبتلى بشـــيء من ذلك فلينظر إلى من هو أعظم ابتلاء منه، فإنه ما من مصيبة تصـيب العبد إلا وفي الوجـــود ما هو أعظم منهـــا، فإذا كان غنيًا فلينظر إلى الفقـير، وإن كـان فقيرًا فلينظر إلى من هو أفقر منه، ممن لا يملك الفتيل ولا القطمـــير، ومهما أُصـــيب المؤمن في شيء من دنياه فــإن ذلك ليس بشـيء عند سـلامة دينـه، الـذي هو عصـمة أمره في دنياه وأخراه، فـدين الإسـلام ولله الحمد هو الكسب الــذي نعــتز به ونفــاخر، وهو الذخر الذي نعـده لليـوم الآخـر، الـدين هو التجارة الرابحة الـتي تنجي من العـذاب لليوم الآخر، الدين هو التجارة الرابحة الـتي تنجي من العـذاب الأليم، وتقــرب العبد إلى

المولى الرحيم، فيا أيها المبتلى اصــبر على البلــوى واذكر من هو أعظم منــك، وأكــثر ضـــــررًا، ثم انظر إلى ما أنعم الله به عليك من الإيمــــــان واســـــتعن به على مقاومة المصـــــــــائب بالصـــــــــبر ومقابلة النعم بالشكران[1].

قال الله تعـالى: ﴿مَنْ عَمِـلَ صَـالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُـوَ مُـؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَـاةً طَيِّبَــةً وَلَنَجْـزِيَنَّهُمْ أَجْـرَهُمْ بِأَحْسَــنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

---

1 (?) خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين (118).

وما بكم من نعمة فمن الله

الحمد لله الــذي بنعمته تتم الصــالحات والحمد لله الـــــــذي خلقنا ورزقنا وعافانا وخلق لنا ما في الأرض جميعًــا، والحمد لله الذي أطعمنا وسـقانا، وكسـانا وآوانا وجعلنا مسلمين.

والصــلاة والســلام على عبــده ورســوله محمد المبعــوث رحمةً للعــالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

قــال الله تعــالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا كُلُـوا مِنْ طَيِّبَـاتِ مَا رَزَقْنَـاكُمْ وَاشْـكُرُوا لِلهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [البقــرة: 172] **﴿كَمَا أَرْسَــــلْنَا فِيكُمْ رَسُــــولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُــزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَــابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُــونَ * فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ وَاشْـكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾** [البقـرة: 151، 152] وقـال عز وجـل: **﴿وَلَقَـدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَـاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَـاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾** [الإســـراء: 70] **﴿وَسَــخَّرَ لَكُمْ مَا فِي**

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: 13] وقال تعالى: **﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** [إبراهيم: 32-34] فلله الحمد في السموات والأرض والدنيا والآخرة هو المحمود في ذلك كله.

يا أخي المسلم إذا أردت أن تعرف قدر نعم الله عليك وعلى خلقه جميعًا فأقرأ القرآن الكريم متدبرًا له، وخصوصًا سورة النحل التي تسمى سورة النعم، ففيها تفصيل لنعم الله على خلقه.

يا أخي المسلم أحمد الله تعالى واشكره على نعمة الإسلام وعلى الصحة في الأبدان

وعلى الأمن وفي الأوطـــــــان وعلى نعمة الخلق والإيجــاد، والإعــداد والإمــداد وعلى نعمة العقل والســــــمع والبصر والمطعم والمشـــــــرب والملبس وعلى نعمة العلم والفهم والإدراك، وعلى غــير ذلك من النعم الظـاهرة والباطنة الـتي لا تعد ولا تحصى ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ [النحـل: 18].

اشـكر الله تعـالى على نعمه بـالاعتراف بها باطنًا والتحـدث بها ظـاهرًا وصـرفها في مرضــاته والاســتعانة بها على طاعته حــتى يرضى عليك ربك ويزيــدك منها ويغفر ذنبك ففي الحـــــــديث: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمـــــــده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها**»[1] من أكل طعامًا فقـــال: «**الحمد لله الـــذي أطعمــني هــذا الطعـام ورزقنيه من غــير حــول مــني ولا قــوة غفر له ما تقــدم من ذنبه**»[2] وقــال تعــالى: ﴿**لَئِنْ**

1 (?) رواه مسلم والترمذي والنسائي وحسنه.

2 (?) رواه أبو داود وابن ماجه والترمــذي وقــال: حديث حسن.

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ [إبراهيم: 7].

فاحمد الله يا أخي المسلم واشكره فإنه تعالى يحب الشاكرين، لو أحسن إليك مخلوق وفعل فيك معروفًا وصنع إليك جميلاً ألست ترى أن من الواجب عليك شكره ومكافأته والإحسان إليه وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فكيف بملك الملوك الخالق الرازق المدبر المنعم المتفضل على عباده بأصناف النعم كلها الذي ما بالعباد من نعمة دينية أو دنيوية إلا وهي منه تعالى: **وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ** [النحل: 53] وسوف يسأل العبد عن شكر ما أنعم الله به عليه **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** [التكاثر: 8] وقال تعالى: **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** [الإسراء: 36].

وفي الحديث: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» (رواه البخاري) يعني أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين ومن كان مقصرًا في شكر ما أنعم الله به عليه فهو مغبون، وقد

ذكر عن بعض السلف الصالح أنهم كانوا يسجلون أعمالهم اليومية في دفتر فيحاسبون أنفسهم عليها قبل النوم.

فيشكرون الله على نعمه، ويستغفرون الله ويتوبون إليه من ذنوبهم اليومية القولية منها والفعلية لأنهم يؤمنون أن الله تعالى يراهم ويسمعهم ويعلم سرهم وعلانيتهم وإنه محص عليهم أعمالهم وأنها مسجلة عليهم من قبل الكرام الكاتبين وأنهم سوف يسألون عنها ويحاسبون عليها ويجزون بها كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: 92، 93] ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18] وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49] وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

[الزلزلة: 7، 8].

إذا فلنحاسب أنفسنا فيما نقول ونفعل ونأتي ونذر وفيما يخطر بقلوبنا أو تتكلم به ألسنتنا أو تنظر إليه أعيننا أو تسمعه آذاننا أو تمتد إليه أيدينا أو تمشي إليه أرجلنا وفيما نأكل ونشرب ونلبس هل ذلك كله لله أو لغيره، وهل استعنا بهذه النعم على طاعته أم على معاصيه؟ ومن أين اكتسب هذا المال وفيم أنفق ما دمنا مسئولين ومحاسبين على ذلك كله فلنحاسب أنفسنا قبل يوم الحساب كما قال عمر ابن الخطاب «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا وتهيئوا للعرض الأكبر على الله يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**» (أخرجه ابن أبي الدنيا).

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيرًا مما نقول. اللهم لك الحمد والشكر والثناء على نعمك العظيمة وآلائك الجسيمة حيث أنزلت علينا خير كتبك، وأرسلت إلينا أفضل رسلك، وشرعت لنا أفضل شرائع دينك،

وجعلتنا من خــــير أمة أخــــرجت للنـــاس، وهديتنا لمعالم دينك، الذي ارتضـيته لنفسك ولك الحمد على ما يســــــــــرته من أداء فرائضك من إقامــة الصـلاة وإيتـاء الزكـاة وصــوم رمضــان وقيامه وحج بيتك الحــرام وتلاوة كتابك العزيز الـــــذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ســبحان ربك رب العــزة عما يصــفون، وســـلام على المرســـلين، والحمد لله رب العالمين، حمـدًا كثـيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما يحب ربنا ويرضى وينبغي لـــه، وصـــلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

شكر النعم ومحاسبة النفس

يا أخي المســلم أذكـرك الله ربك الــذي خلقك ورزقك وأحيـــاك وعافـــاك والـــذي أطعمك وســـقاك وكســـاك وآواك، والـــذي متعك بسمعك وبصرك وعقلك وقواك.

والـــــــذي أمنك في وطنك على نفسك وأهلك ومالـــك، والـــذي علمك ما لم تكن تعلم وفضلك على كثير ممن خلق تفضــيلاً، والـذي سـخر لك ما في السـموات وما في

الأرض، وأسبغ عليك نعمه ظـاهرة وباطنـة، فاحمد الله يا أخي المسـلم واشـكره على نعمه بالاستعانة بها على طاعته لكي تستقر ويزيدك منها.

قـال تعـالى: ﴿لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

يا أخي المسـلم انتهز فرصة شـبابك وصـحتك وحياتك قبل زوالها فـإن الحيـاة محـدودة والأنفـاس معـدودة والأعمـال والأقـوال محسـوبة ومكتوبة ومحفوظة وسـوف تسـأل عنها وتجـازى عليها أتم الجزاء إن خـيرًا فخـير وإن شر فشر ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُ﴾ [الزلزلـة: 7، 8] وسـوف تسـأل عن سـمعك وبصـرك وما انطـوى عليه ضـميرك وقـال تعـالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُـؤَادَ كُـلُّ أُولَئِكَ كَـانَ عَنْـهُ مَسْـئُولًا﴾ [الإسـراء: 36] كما سـوف تسـأل عن عمـرك فيما أفنيته وعن شـبابك فيما أبليته وعن مالك من أين اكتسـبته وفيما أنفقته وعن علمك مـاذا عملت فيه

فأعد للسؤال جوابًا صحيحًا.

يا أخي المسـلم أخلص لله نيتك وأقوالك وأفعالك، وحافظ على الصلوات في أوقاتها أخـرج زكـاة مالك إلى مسـتحقيها قبل أن تكون ثعبانا يطوقك في قبرك ويوم حشرك أخـرج زكـاة مالك قبل أن يحمى عليها في نار جهنم فيكـوي بها جبينك وجنبك وظهـرك حافظ على صـيام رمضـان بالامتنـاع عن المفطرات وحفظ الجـوارح عن المحرمـات من الكلام المحـــرم والنظر المحـــرم والسماع المحرم والأكل والشـرب المحـرم فـإن هـذه الأعمـال تمنع الأجر والثـواب وتـذهب الحسـنات وتـوجب العقـاب الأليم والعـذاب لمن لم يتب منها ومن تـاب تـاب الله عليه وغفر له ورحمه وهو التـــواب الرحيم.

حج الـبيت الحـرام وليكن حجك مـبرورًا لتجـزى به الجنة بـأن تحج كما شـرع الله وكما حج رســول الله وذلك بالمحافظة على الواجبـات والمسـتحبات وتـرك المحرمـات والمكروهـات، وعليك بـبر الوالـدين وصـلة الأرحـام، والإحسـان إلى

الجيران والفقراء والأيتام، واذكر الله كثـيرًا بلســانك وقلبك قائمًا وقاعــدًا وعلى جنبك يــذكرك برحمته ومغفرته ويثـني عليك عند ملائكته واستغفره يغفر لك.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِـدِ اللـهَ غَفُـورًا رَحِيمًا**﴾ [النساء: 110] وقال ﷺ في الحديث القدسي الشـــريف «**يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السـماء ثم اسـتغفرتني غفــرت لك**» فهو تعــالى يغفر للتــائبين والمســتغفرين ذنــوبهم جميعًا كما قــال تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِـهِمْ لَا تَقْنَطُـوا مِنْ رَحْمَـةِ اللـهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُـوَ الْغَفُـورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْـلِمُوا لَـهُ مِنْ قَبْـــلِ أَنْ يَـــأْتِيَكُمُ الْعَــــذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْـزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْـلِ أَنْ يَـأْتِيَكُمُ الْعَـذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الزمــر: 53-55] فتب إلى الله يتب عليك ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَـلُ التَّوْبَــةَ عَنْ عِبَـادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّـيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الشورى: 25] واحفظ

الله يحفظك واتق الله حيثما كنت وادع الله يستجيب لك واسأله يعطك وكن مع الله يكن معك **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾** [النحل: 128].

وأحسن عبادة الله كأنك تراه فإنه تعالى يراك ويسمعك ويعلم سرك وعلانيتك وأحسن إلى عباد الله بما تستطيع يحسن إليك ويرحمك **﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف: 56].

يا أخي المسلم انتبه لنفسك وحاسبها قبل الحساب وقبل هجوم الموت وانقطاع اللذات ودوام الحسرات **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور: 31].

اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم واغفر لنا خطايانا يوم الدين ولا تخزنا يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم آمين يا رب العالمين يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام يا قريب مجيب يا سميع الدعاء، يا

واسع الفضل والعطـــاء، وصـــلى الله على محمد.

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145] الله عز وجل أنعم علينا، ونعمه لا تعد ولا تحصى: نعمة الخلق والإيجاد، ونعمة الحنان الذي ألقاه في قلب الوالدين لطفلهما وهو في ضعفه وحاجته، ونعمة الحواس والجوارح، ونعمة العقل الذي ميز به الله الإنسان عن سائر الحيوان.

أرسل الرسل ليرشدونا إلى الحق وخالص الإيمان. منحنا القوة والعافية وصحة البدن وسلامة الأعضاء.

خلق للإنسان عينين، ولسانا وشفتين، وعلمه البيان والإفصاح عن قصده بالكلام بسط لنا الأرض فيها أنهار جارية، وآبار وعيون لنجد الماء العذب الذي يروي الظمأ وينتفع به الإنسان في معاشه، وفيها كل ما ينفع الإنسان من زروع ومعادن ومواد أولية، ثم إنه جعلها سهلة المسالك لتيسير حياة الإنسان عليها وتنقله في أرجائها طلبًا

للرزق وسعيا وراء العيش.

وخلق لنا سبحانه سماء تظلنا فيها الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره فيها النور والضياء والحرارة وفيها جمال وقدرة و إتقان فسبحان الخالق المنعم الرحمن الرحيم.

أخضع الله للإنسان أغلب الكائنات، سخر له الحيوان، وفضله على كثير من خلقه.. ثم بنعمته وفضله هدى المؤمنين إلى الإسلام.

يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾** [البقرة: 29] ويقول عز وجل: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [النحل: 18] ويقول سبحانه: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** [إبراهيم: 34].

الواجب علينا:

نعم الله كثيرة، ورحمته بنا واضحة بينة، فوجب علينا أن نشكر المنعم مقرين بفضله، مؤمنين بقدرته، ورحمته، ومعترفين

بـالعجز عن الوفـاء بشـكر هـذا الفيض من النعم الـــذي نحسه في جســـومنا ونلمسه فيما حولنا، والله سبحانه وتعـالى غـني عن عبـاده وهبهم الخـير وهو سـبحانه ليس في احتياج إليهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَـرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فـاطر: 15].

وقد أمرنا الله بشــكره لنــؤمن بفضــله، ولنعلم أن كل خـــير فهو معطيه وكل فضل فهو من عنـــده ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَــةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ [النحل: 53].

أمر الله عباده بشكره، ليعلمــوا أن العبد ليس بيده أمر ولا نهي، وإنما هو ســبب من الأسـباب، وأن النـاس لا يملكـون لأنفسـهم نفعًا ولا ضــرًا ولا حيــاة ولا موتًـا، وأن الله وحـده هو الـرزاق ذو القـوة المـتين، يعطي ويمنع ويبسط الـــرزق لمن يشـــاء ويقـــدر ويغني ويفقر.

فالشـكر تقـديس الله وتوحيـده وإفـراده بالعبودية وتنزيهه وتمجيده ولذلك قـرن الله الشـــــكر بالـــــذكر، وأمرنا به عز وجل ﴿

فَــاذْكُرُونِي أَذْكُــرْكُمْ وَاشْــكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُـرُونِ [البقـرة: 152] وقـال سـبحانه وتعـــالى: **فَخُـــذْ مَا آتَيْتُـــكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ** [الأعراف: 144] وقد جعل الله الشكر مفتاح كلام أهل الجنة فقـال تعـالى: **وَقَالُوا الْحَمْـدُ لِلـهِ الَّذِي صَـدَقَنَا وَعْـدَهُ** [الزمر: 74] وقال سبحانه: **وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** [يونس: 10].

والشــكر بــالقلب واللســان والجــوارح، وشــكر القلب محبة الله والإقــرار بالعبودية له وحده والإيمان بأن له كل صفات الكمال ونعوت الجلال وأنه المنعم المتفضل الرازق الوهاب وأنه لا معبود بحق سواه.

وشـكر اللسـان ثنـاء وحمد وذكر الله عز وجل وإمساك عن فضول الكلام ولغـوه وما لا خير فيه.

وشكر الجـوارح أن يدأب المـرء جوارحه في خدمة مـــولاه ســـبحانه وتعـــالى وأن يخضعها لمقتضى أمره ونهيه.

فالشــكر صــرف النعم فيما خلقت لــه، واســـتعمالها فيما شـــرعت لأجلـــه، لتظهر

فائدتها، وتتم حكمتها، ويجني العباد منافعها فإن شكر المرء ربه بقلبه ولسانه وعمله فهو من الفائزين.

يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾** [إبراهيم: 7] ويقول سبحانه **﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾** [آل عمران: 145].

قال بعض الصالحين: «كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية».

وروي أن النبي ﷺ قال: «**من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبارهما فقد شكرهما**»[1].

ومعنى ذلك أن العبد المؤمن يوجه النعمة وجهة الخير والنفع ويستعملها فيما يسعده ويسعد العباد، وبالشكر تستقيم الأمور، وتدوم النعم، وتنعدم الشرور.

قال عز وجل على لسان سليمان عليه السلام: **﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا**

---

[1] (?) لم أجده.

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ [النمل: 40] والله سبحانه لا تضره أعمال الجاحدين المنكرين لفضله الكافرين بنعمته، كما لا تنفعه طاعة الصالحين المؤمنين الشاكرين فالشاكر تنفعه طاعته وأعماله الصالحة. قال الله تعالى: **إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** [الزمر: 7] إن نعم الله علينا لا تعد ولا تحصى وواجب العاقل:

1- أن يكون إيمانه بالله صحيحًا.
2- وأن يكون عاملاً بما أمر الله مجتنبًا معاصي الله.
3- وألا يغفل قلبه ولسانه عن ذكر الله.
4- وأن يوجه قوته وماله وحيلته وجهة الخير والنفع.
5- وأن يحمد الله على كل حال.

قال الحبيب المصطفى، ﷺ حين سئل عن إجهاده نفسه في العبادة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**» رواه البخاري ومسلم وقال ﷺ: «**من أصبح آمنا في سربه، معافى**

في بدنــه، عنــده قــوت يومه فكأنما حــيزت له الــدنيا بحــذافيرها» (رواه البخاري)[1].

نسـأل الله عز وجل أن يعيننا على ذكـره وشـــكره وحسن عبادته وصـــلى الله على محمد. انتهى من خاتمة كتـاب الشـكر لابن أبي الدنيا للشيخ أحمد بن محمد طاحون.

---

1 (?) رواه البخـاري في الأدب المفـرد والترمـذي وابن ماجه ورمز السيوطي لحسنه.

حقيقة الشكر

الشـــــكر تصـــــور المنعم عليه النعمة وإظهارها، وهو مقلوب عن الكشر، ويضاده الكفر وهو من كفرت الشيء غطيتـه، ودابة شكور أي مظهـرة بسـمئها إسـداء صـاحبها إليهـــا، وقيل أصـــله من عين شـــكري أي ممتلئة، فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليـــه، ومن هـــذا الوجه قيل هو أبلغ من الحمـــد، لأن الحمد ذكر الشـــيء بصـــفاته، والشـــكر ذكر الشـــيء بصـــفاته وبنعمـــه، فالشكر على ثلاثة أنواع: شكر بـالقلب وهو تصـور النعمـة، وشـكر باللسـان وهو الثنـاء على المنعم، وشـــكر بســـائر الجـــوارح وهو مكافأته بقدر استحقاقه.

وهو أيضًا باعتبار الشاكر والمشكور ثلاثة أنـــواع: شـــكر الإنســـان لمن هو فوقه وهو بالخدمة والثناء والدعاء، وشكر لنظيره وهو بالمكافـــــآت، وشـــــكر لمن هو دونه وهو بـــــالثواب، وقد وصف الله تعـــــالى نفسه بالشـكر لصـالح عبـاده، وشـكر العبد له هو معرفة نعمه وبحفظ جوارحه بمنعها عن اســـتعمال ما لا ينبغي وشـــكر المنعم في

الجملة واجب بالعقل كما هو بالشـــــــرع، وأوجبها شـكر البـارئ تعـالى ثم شـكر من جعله سـببا لوصـول خـير إليك على يـده، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يشكر الله من لم يشكر الناس**»[1] وقال عليه الصـــلاة والســـلام: «**أشـــكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شـكرك فإنه لا تزول النعمة إذا شـكرت ولا دوام لها إذا كفرت**»[2].

وقال بعضهم: كل نعمة يمكن شـكرها إلا نعمة الله فإن شكر نعمته نعمة منه فيحتاج العبـد أن يشـكر الثـاني كشـكره الأول، وكـذلك الحـال في الثـالث والرابـع، وهـذا يؤدي إلى ما لا يتناهى، ولهـذا قـال موسـى عليه الصلاة والسلام: إلهي أمرتني بالشـكر على نعمك وشـكري لـك نعمـة من نعمـك، ومن هذا أخذ الشاعر:

إذا كان شكري نعمة الله

علي له في مثلها يجب الشكر

---

1 (?) رواه أحمد وأبو داود وابن حبـــان عن أبي هريرة والطبراني عن النعمان ابن بشير.

2 (?) لم أجده.

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله
وإن طالت الأيام واتصل العمر

ولهـــذا قيل غاية شـــكر الله تعـــالى الاعـــتراف بـــالعجز عنه بل قد قـــال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُـوهَا﴾ [إبراهيم: 34]، [النحل: 18].

وأيضا فكل ما يفعل الله بعبده فهو نعمة منه وإن كان بعض ذلك يعد بلية، ولهذا قال بعض الصـالحين: يا من منعه عطـاء وبلاؤه نعماء، ولأجل صعوبة شكره قال عز وجــل: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَـادِيَ الشَّـكُورُ﴾ [سـبأ: 13] ولم يثن بالشـكر على أوليائه إلا على اثـنين منهم إبـراهيم عليه الصـلاة والسـلام، حيث قـال تعـالى: ﴿شَـاكِرًا لِأَنْعُمِـهِ اجْتَبَـاهُ﴾ [النحل: 121] فخص لفظ ﴿لِأَنْعُمِـهِ﴾ الـدال على أدنى العدد وقال في نوح عليه السلام ﴿إِنَّهُ كَـــانَ عَبْـــدًا شَـــكُورًا﴾ [الإسراء: 3].

واعلم أن الشكر والصـبر جمـاع الإيمـان كما روي في الخبر (الصبر نصف الإيمان)[1]

---

[1] (?) أخرجه أبو نعيم في الحلية (5/ـ 34)

لكن قال بعض المتصوفة الشكر أفضل من الصبر فإن الصبر حبس النفس إلى مسالمة البلاء، والشكر أن لا تلتفت إلى البلاء بل تراه من النعماء، فمن صبر فقد ترك إظهار الجزع، ومن شكر فقد تجاوز إلى إظهار السرور بما جزع له الصابر، وأيضًا الصبر ترك العمل السيئ والشكر إظهار العمل الحسن، وليس من ترك قبيحًا كمن فعل جميلاً وقابل تعالى الشكر بالمجازاة فعل الحبيب بحبيبه فقال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 145] وقابل الصبر بالأجر فعل المستأجر بأجيره فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10] وأين الأجر وإن كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء، ثم قال في الصبر ﴿يُوَفَّى﴾ فلم يسم فاعله وقال في الشكر ﴿سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ فانظر إلى هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء إلى الفعال، ولم يذكر

والخطيب في تاريخه (3/ـ 226) والبيهقي في شعب الإيمان وضعفه الحافظ في الفتح (1/ 45) وجعله من قول ابن مسعود.

من أنبيائه بالشكر إلا اثنين كما تقدم، ووصف جماعتهم بالصبر فقال: ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85] وقال: ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: 19].

فجعل الصبر مبدأ الشكر تنبيها ولأن الصبر محمول عليه قهرًا والشكر مؤدى طبعًا[1].

ومن شكر فإنما يشكر لنفسه[2]

والشكر هو اعتراف المرء بالإحسان لذويه وإقراره بالثناء على مسديه، فجحد النعمة كفر، وإنكارها لؤم، لهذا كان من الواجب أن يشكر الإنسان المولى العلي الأعلى على تواتر نعمه ومزيد إحسانه حتى يضاعف له في رزقه ويبارك له في عمله، كما يجب عليه ألا يجحد شكر من قدم إليه صنيعًا حسنًا أو أولاه معروفًا، فإذا فعل ذلك فقد أدى الواجب واستحق العطف

---

1 (?) كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (140).

2 (?) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق لأحمد سعيد الدجوي (95).

والمعونة متى عرته[1] شدة أو نابته نائبه.

قــال الله تعــالى: ﴿وَمَنْ يَشْــكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَـرَ فَـإِنَّ اللـهَ غَنِيٌّ حَمِيــدٌ﴾ [لقمــان: 12] وقــال تعــالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7].

وقال رسول الله ﷺ: «**أشكر الناس لله أشكرهم للناس**»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من صلى الصــلوات الخمس فقد شــكر اللــه، ومن دعا لوالديه في إدبارها فقد شكرهما**»[3].

وقــال عليه الســلام: «**أيما رجل صــنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جـزاء إلا الدعاء والثناء فقد كافأه**»[4].

وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

---

1 (?) غشيته.

2 (?) رواه أحمد والطبراني والبيهقي والضياء عن الأشــــعث بن قيس ورواه ابن عـــــدي عن ابن مسعود ورمز السيوطي لصحته.

3 (?) لم أجده.

4 (?) لم أجده.

«التحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[1].

وعنه أنه قال: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له**»[2].

وقال: «**أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه فهي نعمة من الله عليه فإن قابلها بالشكر، وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد إثمًا ويزداد الله عليه بها سخطًا**»[3].

وقال علي كرم الله وجهه: كفر النعمة لؤم.

وقال الحسن: كلما شكرت نعمة تجدد

---

1 (?) قال المنذري: رواه عبد الله بن أحمد في زوائده بإسناد لا بأس به.

2 (?) رواه أبو داود والنسائي: وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

3 (?) رواه ابن عساكر عن عطية بن قيس ورمز السيوطي لحسنه.

لك بالشـــــكر أعظم منها فــــأنت لا تنفك بالشكر من نعمة إلا إلى ما هو أعظم منها.

وقـال عمر بن عبد العزيـز: تـذكروا النعم فإن ذكرها شكر.

وقال المغيرة بن شعبة: اشـكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شـكرك، فإنه لا بقــــاء للنعم إذا كفــــرت، ولا زوال لها إذا شكرت.

ودخل أبو هــــارون على بعض الحكمــــاء فقـال لـه: يرحمك الله ما شـكر العيـنين؟ قال: إذا رأيت بهما خـيرًا ذكرتـه، وإذا رأيت بهما شرًا سـترته، قـال: فما شـكر الأذنين؟ قــال: إذا ســمعت بهما خــيرًا حفظته وإذا سمعت شرًا نسيته.

وقال عبد الحميد الكـاتب: من لم يشـكر الإنعام[1] فاعدده من الأنعام[2].

وقـال بعض الحكمـاء: من أنكر الصـنيعة اســتوجب القطيعـــة، ومن من[3] بمعروفه ســـقط شــــكره ومن أعجب بعمله حبط

---

1 (?) النعم والصنائع

2 (?) الإبل والبقر والغنم.

3 (?) عد ما فعله من الإحسان.

أجره.

وقال آخر: كفر النعمة من أمارات البطر وأسباب الغير.

وسـئل بعضـهم ما أضـيع الأشـياء؟ قـال: المطر الجـــود[1] في أرض ســـبخة لا يجف ثراها[2] ولا ينبت مرعاهـا، وسـراج يوقد في الشمس ضيعة تسدى إلى من لا يشكرها.

وقال بعض الأدباء: الشكر أفضل من النعم، لأنه يبقى والنعم تفنى.

وقـال آخـر: من أعطي أربعًا لم يمنع من أربع: من أعطي شكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبـــول، ومن أعطي الاســـتخارة لم يمنع الخـــيرة، ومن أعطي الاستشارة لم يمنع الصواب.

وقــال غــيره: لا تســيء إلى من أحسن إليك، ولا تعن على من أنعم عليك.

وقــال غــيره: من بــذل بعض عنايته لك فابذل جميع شكرك له.

وقال بعض الفضلاء: إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر.

---

1 (?) الغزير.

2 (?) ترابها.

وقـال بعض العقلاء: أمسـكوا المعـروف عن ثلاثة، اللئيم فإنه بمنزل الأرض السبخة، والفاحش فإنه يرى أن الذي صـنعت له إنما هو لمخافة فحشـه، والأحمق فإنه لا يعـرف قدر ما أسديت إليه.

وقال بعض الفصحاء: الكـريم شـكور أو مشكور، واللئيم كفور أو مكفور.

وقـــال آخـــر: من كفر نعمة المفيد استوجب حرمان المزيد.

وقيل: قيمة كل نعمة شكرها.

وقال الشاعر:

من جاوز النعمة بالشكر لم
يخش على النعمة مغتالها[1].
لو شكروا النعمة زادتهم
مقالة الله التي قالها
لئن شكرتم لأزيدنكم
لكنما كفرهم غالها[2]
والكفر بالنعمة يدعو إلى
زوالها والشكر أبقى لها

---

1 (?) اغتال الشيء أخذه من حيث لم يدر به أحد.

2 (?) غال مثل اغتال.

وقال آخر:

شكر الإله بطول الثناء
وشكر الولاة بصدق الولاة[1]
وشكر النظير بحسن الجزاء
وشكر الدني بحسن العطاء

وقال غيره:

أشكر لا أني أجازيك منعمًا
بشكري ولكن كي يزاد لك
واذكر أيامًا لَدي اصطنعتها
وآخر ما يبقى على الشاكر

---

1 (?) المحبة.

كيفية شكر نعم الله تعالى[1]

الحمد لله المنعم الوهاب الولي الحميد، والحمد لله بجميع محامده وكما ينبغي له من التحميد.

والحمد لله الذي أمر بشكره، ووعد عليه المزيد فقال: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7] نحمده ونشهد أن لا إله إلا هو المبدئ المعيد، واشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بعث بالقرآن المجيد ﷺ وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد.

أما بعد: أيها المسلمون إن نعم الله تعالى لا يحصيها لسان، وإن نعمه لا يقوم بحق شكرها إنسان، وإن نعمه تعالى تجل عن التعداد، وإن نعمه قد شملت الحاضر والباد، فاشكروه على نعم الألسن، بكثرة الأذكار، والتضرع إليه بالدعاء والاستغفار وتلاوة كتابه العزيز في العشي والإبكار، والدعاء إلى الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن عجزتم عن ذلك

---

1 (?) الموعظة الحسنة للشيخ صديق حسن خان (314).

فراقبــوه من إطلاقها في الآثــام واســتحيوا من الله من اســـــتعمالها فيما حــــــرم من الكلام، من الســيئات وقــول الــزور والغيبة والنميمة وأيمان الفجور.

واشكروه على نعم الأبصـار، بـالنظر في آيـات الليل والنهـار، والتفكر في مخلوقـات الله والاعتبــــار، فــــإن قصــــرتم على ذلك فاحــذروا من هتك الأســتار، والنظر بها على محــارم اللـــه، فــإن النظر إليها من أعظم الأوزار، واشكروه تعالى على نعم الأسماع، بالإنصــات لكلام الله والاســتماع، وصــيانتها عما لا يحل من الملاهي، والسماع والإصغاء إلى الأخـــواض في الأعـــراض الـــتي لا تحل بالإجماع، واشكروه تعـالى على نعم الأيـدي المركبة في أحسن تقـــويم، والمهيـــأة لكل نفع عميم ببســـطها في مراضي الأفعـــال، ومحــاب ربكم ذي المن والإفضـال، وإيــاكم وبســـطها في الظلم، فــإن الظلم حســـرة وندامـة، وإن الظلم ظلمـات يـوم القيامـة، واشـــكروه على نعم الأقـــدام بالمشي إلى الطاعات، والسعي إلى الجمع والجماعـات،

فإن فرطتم في ذلك فاحذروا من الخطا بها إلى الــذنوب والمشي بها إلى ما لا يرضــاه علام الغيوب، أما تخشـون أن تكـون عليكم من أعــدل الشـهود، يــوم تشــهد الجــوارح وتنطق الجلـود، واشـكروا الله على ما أنعم به من الأرزاق ببـــذلها في وجـــوه الـــبر والإنفــاق، ومواســاة أولي الحاجة والإملاق، فــإن بخلتم بــذلك فإيــاكم أن تنفقــوا حلالها في الحـــــرام، وتتقووا بها على المعاصي والآثام.

فــــإن المعاصي مغــــيرات النعم، وإن المعاصي جالبــــــات النقم، وإن المعاصي ســبب هلاك من قبلكم من الأمم واشــكروا الله على ما خــــولكم من الملبــــــوس باستعماله لستر العـورات ووقاية النفـوس، وإيـــاكم أن تلبســـوه للتكـــبر والاختيـــال، والمفاخرة لأرباب الشرف والمال، واذكروا ما أعد لأهل العصـــيان، في الآخــــرة من سرابيل القطران، ومقطعـات النـيران، وما أعد لأهل الطاعة من الســندس والعبقــري الحســـان، واشـــكروه تعـــالى على أعظم

النعم، الــذي هو الإيمــان بالمحافظة على اتبــاع الســنة والقــرآن، ومكــارم الأخلاق وتطهير الجنان، وإيـاكم أن تلبسـوه بـالظلم وتضـييع الحـدود، والاسـتهانة بمحـارم الله المعبـود، واشـكروه تعـالى على نعم العلم بتبــــيين الحلال والحــــرام، وتبليغها إلى الجاهلين من الأنام، وخشية الله تعـالى في كل مقـام فـإن عجـزتم فإيـاكم من خلط الحـرام بـالحلال، والتجرؤ على الله بسـيِّئ الأعمــال، فقد جــاء: «**إن أشد النــاس عــذابًا يــوم القيامة عــالم لا ينتفع بعلمه**»(1). واشــكروه على ما أنعم به من العقول، وما خصكم به من إرسال خير نـبي ورسول، وما أمدكم به من الكتـاب العـربي المبين، والنور السـاطع المسـتبين، جعلـني الله وإيــــاكم من الــــذاكرين ولنعمائه من الشــاكرين وعلى بلائه من الصــابرين، إن أفضل الكلام وأعلاه كلام الله الــــذي لا إله

---

1 (?) رواه الطبراني والبيهقي وبن عـدي وضـعفه السـيوطي والمنـذري قـال المنـاوي وله واصل أصيل عند الحاكم في المستدرك.

سـواه، أعـوذ بالله من الشـيطان الـرجيم ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُـوهَا إِنَّ اللـهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [النحل: 17، 18].

الشكر على النعم قيد لها وزيادة

قال تعالى: **﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾** [البقرة: 152]. وقال: **﴿ولَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم: 7]. وقال: **﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾** [سبأ: 13].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «**ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها، وما علم الله ندامة عبد على ذنب إلا غفر له قبل أن يستغفر**»[1].

وقال معاذ بن جبل قال لي رسول الله ﷺ: «**يا معاذ إني أحبك فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[2].

نعم الله على عباده كثيرة:

أولها: توفيق الله وإرشاده إلى الهدى ثم يتبعه طهارة الباطن من الأدناس وتزيينه بالعلم وما يوجب فضيلة النفس ثم يتبعه صحة البدن وقوته، وجمال خلقته، وما هو

1 (?) رواه الحاكم والبيهقي عن عائشة.

2 (?) رواه أبو داود والنسائي وابن حبان وابن خزيمة في صحيحيهما وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين.

سـبب لبقائه من مـال وغـيره، ولو ذكرنا نعمة واحدة لما أحطنا بحواشيها فما بنا من نعمة فمن الله يتعين علينا شـكر مسـديها قال بعض السلف: **الشكر قيد للموجـود وصـيد للمفقـود،** وهو اعـتراف القلب بنعم الله والثنـاء عليه بهـا،ومحبته لقوله عليه السـلام: «**أحبـوا الله لما يغـذوكم به من نعمه**»[1]. وكفر النعمة عـدم شكرها أو صرفها في غير مراضي الرب.

قـرأ بعض السـلف: (وآتـاكم من كل ما سألتموه وما لم تسـألوه)[2]، وقد أخـبر الله جل وعلا أن العباد عاجزون عن تعـداد نعمه فضلا عن القيام بشكرها فقال: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَـةَ اللـهِ لَا تُحْصُـوهَا﴾** [إبـراهيم: 34] [النحل: 18].

وفي صحيح البخـاري أن رسـول اللـه، ﷺ، كـان يقـول: «**اللهم لك الحمد غـير مكفي، ولا مـودع، ولا مسـتغنى عنه ربنا».**

---

1 (?) رواه الترمذي قال الألباني إسناده ضعيف.

2 (?) ليست قـراءة وإنما ذكروها في معـنى الآية (انظر تفسير الطبري 13/226).

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «**يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله عليه فيقول الله تعالى لأصغر نعمه خذي ثمنه من عمله الصالح فتستوعب عمله كله ثم تنحى فتقول: وعزتك ما استوفيت**» الحديث [رواه البزار في مسنده].

وقد روي عن داود عليه السلام، وقيل عن موسى قال: «**يا رب؟ كيف أشكرك وشكري لك نعمة منك علي فقال الله: الآن شكرتني يا داود**»[1].

وقال الإمام الشافعي: الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه بنعمة حادثة توجب على مؤديها شكره بها[2].

---

1 (?) ذكره ابن رجب في لطائف المعارف ص 236 عن موسى عليه السلام.

2 (?) الرسالة للإمام الشافعي بتحقيق أحمد شاكر ص 7-8.

قال الشاعر:

لو كل جارحة مني لها لغة
تثن عليك بما أوليت من حسن
لكانِ ما زاد شكري إذ
إليك أبلغ في الإحسان والمنن

ويجب شكر من أولى معروفًا عليك فمن ذكر فقد شكر، ومن جحد فقد كفر، وفي الحديث: «**من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء**»[1].

قال الشاعر:

لا يشكر الله من   لا يشكر الناس[2]**.**

---

1 (?) رواه الترمذي وحسنه.

2 (?) الحديقة اليانعة والبروق اللامعة للشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضي ص 326.

سجود الشكر

(وتستحب سجدة الشكر عند تجـدد نعمة ظـاهرة، أو دفع نقمة ظـاهرة عـامتين) له وللنـاس (أو في أمر يخصـه، كتجـدد ولد أو مال أو جـاه، أو نصـرة على عـدو). لحـديث أبي بكرة أن النبي، ﷺ، «**كان إذا أتـاه أمر يسر به خر سـاجدًا**» [رواه أحمد والترمذي وقال حسن غريب]. والعمل عليه عند أكـثر العلمـاء. وكـذلك رواه الحـاكم وصـححه. « **وسـجد، ﷺ، حين قـال له جبريل -عليه السـلام-: يقـول اللـه: من صـلى عليك صـليت عليـه، ومن سلم عليك سلمت عليه**» [رواه أحمد]. وروى الـبراء «**أنـه، ﷺ، خر سـاجدًا حين جـاءه كتـاب علي من اليمن بإسـلام همدان**» [رواه البيهقي] في المعرفة وفي السنن، وقال: هذا إسناد صحيح.

«**ويسـجد حين يشـفع في أمته**» [رواه أبو داود]. وسجد الصـديق حين جـاءه قتل مسيلمة. رواه سعيد. وسجد علي حين رأى ذا الثُّديَّة من الخـوارج. [رواه أحمـد].

وســـجد كعب بن مالك حين بشر بتوبة الله عليه. وقصــته متفق عليها (وإلا) أي وإن لم تشـترط في النعمة الظهـور (فنعم الله في كل وقت لا تحصـــــــى) والعقلاء يهـــــنئون بالسـلامة من العـارض، ولا يفعلونه في كل ســاعة (ولا يســجد لـــه) أي الشـــكر (في الصــلاة) لأن ســـببه ليس منها (فـــإن فعل بطلت، لا من جاهل ونـاس) كما لو زاد فيها ســـجودًا (وصـــفتها) أي ســـجدة الشـــكر (وأحكامها كسجود التلاوة).

(ومن رأى مبتلى في دينه سجد بحضوره وغيره) أي بغير حضوره (وقال: الحمد الذي عافاني مما ابتلاك بــه، وفضـلني على كثـير ممن خلق تفضــيلا). وإن كـــان مبتلى (في بدنه سـجد وقـال ذلك وكتمه منـه. ويسـأل الله العافيـة) قـال إبـراهيم النخعي «كـانوا يكرهـــون أن يســـألوا الله العافية بحضـــرة المبتلى» ذكره ابن عبد البر. وروى الحــاكم «**أنــه، ، ســجد لرؤية زمن، وأخــرى لرؤية قـــرد، وأخـــرى لرؤية نغاشي**» بـــالنون والغين والشـــين المعجمــتين قيــل:

نــاقص الخلقــة، وقيــل: المبتلى. وقيــل: مختلط العقل (قال الشيخ: ولو أراد الـدعاء فعفر وجهه لله في الـــــتراب وســــجد له ليدعوه فيه. فهـذا سـجود لأجل الـدعاء. ولا شــيء يمنعــه. والمكــروه: هو الســجود بلا سبب)[1].

---

1 (?) كشــاف القنــاع عن متن الإقنــاع في الفقه للشيخ منصور البهوتي.

شكر الله على نعمة الدين[1]

فاعتبر ألهمك الله الشكر، ووفقك للتقوى، إنعامه عليك فيما كلفك، وإحسانه إليك، فيما تعبدك، فقد وكلتك إلى فطنتك، وأحلتك على بصيرتك، بعد أن كنت لك رائدًا صدوقًا، وناصحًا شفيقًا، هل تحسن نهوضًا بشكره، إذا فعلت ما أمرك، وقبلت ما كلفك، كلا، إنه لا يوليك نعمة توجب الشكر، إلا وصلها قبل شكر ما سلف، بنعمة توجب الشكر في المؤتنف[2].

وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما: نعم الله أكثر من أن تشترى، إلا ما أعان عليه، وذنوب ابن آدم أكثر من أن تغفر إلا ما عفا عنه.

وأنشدت لمنصور بن إسماعيل الفقيه المصري[3] رحمه الله تعالى:

شكرِ الإله نعمة موجبة

فكيف شكري بره وشكره من

وإذا كنت عن شكر نعمه عاجزًا، فكيف

---

1 (?) أدب الدنيا والدين للماوردي ص 97.

2 (?) المؤتنف: المستجد.

3 (?) من فقهاء الشافعية.

بك إذا قصرت فيما أمـرك، أو فـرطت فيما كلفك، فعله أعود عليك لو فعلته، هل تكون لسـوابغ نعمه إلا كفـورًا، ومبدئه العقـول إلا مزجـورًا، وقد قـال الله تعـالى: ﴿يَعْرِفُـونَ نِعْمَـةَ اللـهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾. قـال مجاهـد: ورثوها عن آبـائهم، أو اكتسـبوها بأفعـالهم. وروي عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**يقول الله: يـابن آدم، ما أنصـفتني أتحبب إليك بـالنعم، وتتمقت إلى بالمعاصـي، خيري إليك نازل، وشرك إلي صـاعد، كم من ملك كـريم يصـعد إلى منك بعمل قبيح**». وقال بعض صلحاء السـلف: قد أصـبح بنا من نعم الله تعـالى ما لا نحصيه، مع كثرة ما نعصيه، فلا نـدري أيهما نشكر: أجميل ما ينشر، أم قبيح ما يستر؟

فحق على من عـرف موقع النعمـة، أن يقبلها ممتثلا لما كلف منهـا، وقبولها يكـون بأدائها ثم بشكر الله تعـالى على ما أنعم به من إسدائها، فإن بنا من الحاجة إلى نعمـه، أكـثر مما كلفنا من شـكر نعمـه، فـإن نحن أدينا حق النعمة في التكليف تفضل بإسـداء

النعمة من غـــــير جهة التكليف فلــــــزمت النعمتـــان ومن لزمته النعمتـــان فقد أوتي حظ الدنيا والآخـرة، وهـذا هو السـعيد على الإطلاق، وإن قصـــرنا في أداء ما كلفنا من شكره قصر عنا ما لا تكليف فيه من نعمته، فنفرت النعمتـان ومن نفـرت عنه النعمتـان فقد سلب حظ الـدنيا والآخـرة، فلم يكن له في الحياة حظ، ولا في الموت راحة، وهـذا هو الشـــقي بالاســـتحقاق وليس يختـــار الشـقوة على السـعادة ذو لب صـحيح، ولا عقل سـليم، وقد قـال الله تعـالى: ﴿**لَيْسَ بِأَمَـانِيِّكُمْ وَلَا أَمَـانِيِّ أَهْـلِ الْكِتَـابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾.

وروى الأعمش عن مسلم قال: قــال أبو بكر الصديق ﷺ:

يا رسـول اللـه، ما أشد هـذه الآيـة: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِـهِ**﴾. فقـال: «**يا أبا بكر إن المصيبة في الدنيا جزاء**».

واختلف المفســــــرون في تأويل قوله تعالى: ﴿**سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ**﴾ فقـال بعضـهم: أحد العذابين: الفضيحة في الـدنيا، والثـاني:

عـذابـ القـبر. وقـال عبد الـرحمن بن زيـد: أحد العـــذابين: مصـــائبهم في الـــدنيا، في أمـوالهم وأولادهم، والثـاني: عـذاب الآخـرة في النار.

الاستدراج بالنعم:

وليس وإن نـــال أهل المعاصي لـــذة من عيش، أو أدركـــوا أمنية من الـــدنيا، كـــانت عليهم نعمـــة، بل قد يكـــون ذلك اســـتدراجًا ونقمـــــــــة، وروى ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم، عن عقبة بن عـامر: أن رسـول الله ﷺ قـــال: «**إذا رأيت الله تعـــالى يعطي العبـــاد ما يشـــاءون على معاصـــيهم إياه، فإنما ذلك اسـتدراج منه لهم ثم تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُـــوا مَـــا ذُكِّرُوا بِـــهِ فَتَحْنَـــا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَـــا أُوتُـــوا أَخَـــذْنَاهُمْ بَغْتَـــةً فَـــإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾**».

الشكر الله
وأثره في سعادة الأمم[1]

عرف العلماء الشكر بأنه ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة.

فالشاكر من يكون لسانه مشتغلاً بالثناء على ربه معترفًا له بنعمه، ويكون قلبه مملوءًا محبة لله على هذه النعم، وشهودًا بأنها منه فضل وإحسان، وتكون جوارحه مشتغلة بطاعة الله استسلامًا له وانقيادًا.

لهذا كان الشكر من مظاهر العبادة التي دعا إليها القرآن قال الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾** [البقرة: 172].

وكلمة الشكر من الكلم الجوامع التي تنتظم كل خير وتشمل كل ما يصلح به قلب الإنسان ولسانه وجوارحه. فالذي لا يحب الله ولا يشهد قلبه بأن ما فيه من

---

[1] (?) كتاب (روح الدين الإسلامي) لعفيف عبد الفتاح طيارة (188).

النعم إنما هو من الله فضلاً وإحسانا ليس بشاكر، والذي لا يثني على ربه ولا يحمده بلسانه ويخوض في الباطل ويشتغل لسانه بلغو القول ولهو الحديث ليس بشاكر، والذي يعطيه الله من العلم شيئًا ولا يعمل به ولا يعلمه الناس ليس بشاكر، والذي يعطيه من المال ما يستعين به على طاعته بصرفه في وجوه الخير والبر ويبخل به أو يصرفه في معاصي الله ليس بشاكر[1].

لهذا دعا الله إلى التخلق بالشكر في كثير من الآيات: ﴿**بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ [الزمر: 66 ومدح الله نبيه إبراهيم لقيامه بواجب الشكر: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النحل: 120-

---

1 (?) نقلا عن تفسير لبعض الآيات القرآنية للشيخ محمد مصطفى المراغي في مجلة الأزهر (13/ 53).

122][2] كما تفضل الله بعدم عذابهم ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ [النساء: 147] ووعد الله الشاكرين بأن يزيد لهم النعم في الدنيا ويحفظها لهم فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: 7]

الشكر على نعم الله: والإنسان عليه واجب الشكر نحو خالقه فإن لم يفعل كان بذلك مقترفًا أشنع أنواع الجحود والنكران، ألا ترى أننا ننكر على الشخص الذي لا يسدي الشكر لمن أحسن إليه من البشر فما بالك بمن لا يسدي الشكر لخالقه مصدر كل النعم، ولا يمكن أن نكون مقربين إلى الله من غير شكره وهذا ما أمر به الله في آيات متعددة ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78] ويقول سبحانه: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ

---

2 (?) أمة: إماما يقتدي به.

أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: 33- 35]، ويقول سبحانه أيضًا: **﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾** [الجاثية: 12، 13] ويقول سبحانه في موضع آخر: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ الليْلَ سَرْمَدًا**[1] **إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الليْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [القصص: 71-

---

1 (?) سرمدًا: دائمًا متصلاً لا ينقطع.

[73].

ولكن الناس أمام هذه النعم وغيرها قليلا ما يشكرون، قال سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ [يونس: 60].

ومنفعة الشكر لا تعود على الله فإنه لا ينتفع بشكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين وإنما منفعة الشكر عائدة على الشاكر فهو يطهر النفوس ويقربها من الله ويوجه إرادتها إلى الوجه الصالحة في إنفاق النعم في وجوهها المشروعة ولهذا يقول سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ [لقمان: 12].

أما كفران النعم فيعرضها للزوال لأنها تجعل المرء غير مبال بها ويبددها بدون منفعة ويتلف ما أنعم الله به عليه من نعم الصحة والعافية ويسير على غير المنهج الذي رسمه له الخالق فيؤدي به إلى غضب الله والبعد عن رحمته.

والقرآن يخبر بأن خراب الأمم كان سببه

كفران النعم وعدم الشكر لله قال سبحانه: **﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾** [النحل: 112].

وذكر القرآن قصة قوم سبأ: **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾** [سبأ: 15-17].

فالشكر من دعائم سعادة الأمم، والتنكب عنه لا يجلب غير الدمار والخراب حبذا لو فهمته الشعوب وعملت به لتحصل على السعادة التي تنشدها وهي عنه غافلة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع والمصادر

1- ريـاض الصـالحين من أحـاديث سـيد المرســـلين ﷺ، للنـــووي تحقيق شـــعيب الأرنؤوط.
2- مدارج السالكين لابن القيم.
3- الذريعة إلى مكـارم الشـريعة للشـيخ ابن القاسم الحســـين بن محمد الـــراغب الأصفهاني.
4- فتح الخلاق بمكـــــارم الأخلاق لأحمد سعيد الدجوي.
5- كشاف القناع عن متن الإقناع للشـيخ منصور البهوتي في الفقه.
6- الموعظة الحســـنة للشـــيخ صـــديق حسن خان.
7- أصـول المنهج الإسـلامي للشـيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم العبيد.
8- كتاب الشـكر لابن أبي الـدنيا بتحقيق أحمد بن محمد طاحون.
9- خطب الشيخ محمد الصالح العثيمين.
10- خطب الشـــيخ الـــدكتور صـــالح الفوزان.

11- بهجة النـاظرين فيما يصلح الـدنيا والدين للمؤلف.
12- الثمـار اليانعة من الكلمـات الجامعة للمؤلف.
13- كلمات مضيئة للمؤلف.
14- الهداية لأسباب السعادة للمؤلف.
15- الحديقة اليانعة والـبروق اللامعة تأليف محمد الصالح القاضي.
16- أدب الدنيا والدين للماوردي.
17- روح الـدين الإسـلامي لعفيف عبد الفتاح طبارة.
18- مجمـوع فتـاوى شـيخ الإسـلام ابن تيمية (11).

الفهرس

من منشورات دار المنار للنشر بالخرج
سلسلة رسائل للشباب فقط

ماذا يجب عليكم -شباب الإسلام-؟ للشيخ ابن باز
من مشكلات الشباب للشيخ ابن عثيمين
القواعد الذهبية لحفظ القرآن عبد الرحمن عبد الخالق
للشباب فقط عادل العبد العالي

الشباب والمزاح عادل العبد العالي

قصص إيمانية عادل العبد العالي

سلسلة رسائل إلى فتاة الإسلام

مصابيح مضيئة في طريق المرأة المسلمة بنت الإسلام
ماذا يجب عليك -فتاة الإسلام-؟ للشيخ الجار الله
من مخالفات النساء للشيخ عبد العزيز السدحان
تفسير قوله تعالى يا نساء النبي

للشيخ ابن عثيمين

من منشورات دار المنار للنشر
بالخرج
سلسلة رسائل في الصلاة

كيفية صلاة النبي للشيخ ابن باز

رسالتان في الصلاة للشيخ ابن باز

الخشوع في الصلاة للشيخ الجار الله

عظيم الأجر في صلاة الفجر عبد الله بن عبد الرحمن

لذة العبادة سعد الصالح

فضل النوافل للشيخ الجار الله

ثلاثة عشر سؤالا وجوابا حول السترة والمرور بين يدي المصلي محمد بن رزق الطرهوني